

❖ الأساليب النفسية التربوية للخطاب الديني

ك.أ.د. علي تعوينات

أستاذ التعليم العالي بقسم علم

النفس وعلوم التربية

—جامعة الجزائر—

مقدمة:

يختلف الناس فيما بينهم باختلاف طبيعتهم وشخصياتهم والبيئة التي يعيشون فيها، ويتج عن هذا الاختلاف اختلاف في تعاملاتهم فيما بينهم. وإذا أردنا أن نبحت في أسباب الاختلافات بين الناس فإن ذلك يعود إلى عدة عوامل متداخلة وأهمها: طبع كل فرد، والطبع مكون من العوامل البيولوجية والفيزيولوجية والنفسية، مما يجعله صعب التعديل والتكيف حسب المتطلبات المرغوب فيها من قبل المجتمع. والتربية المتلقاة في الأسرة طوال مراحل الطفولة بما فيها من تأثيرات وغرس قيم وعادات وسلوكيات متنوعة من قبل كبار الأسرة في الطفل، فهي كالطبع غالبا ما يصعب تغيير وتعديل مضامين هذه التربية - من شب على شيء شاب عليه. بعد هذين العاملين تأتي المدرسة بمناهجها وإدارتها وقوانينها ومعلميها وضوابطها لتساهم هي الأخرى في استكمال بناء شخصية لمدة ليست بقليلة، ومتابعة تربية البيت بحيث تتعاون الهيئتان على تربية الفرد لكي يبلغ سن الرشد. وتدخل مع الأسرة والمدرسة الرفاق والأصدقاء وجماعات اللعب والمجتمع عامة...



الأساليب النفسية التربوية للخطاب الديني

هذه العوامل والبيئات المتنوعة تكون لدى الفرد نمطا من الشخصية ونمطا من التفكير وأسلوبا للتلقي واستقبال الرسائل الخارجية الخاصة به حسب خبراته السابقة ونموذج معالجته للمعلومات المتلقاة من الخارج، مما يجعل دلالة هذه الرسائل تتفاوت وقد تتنوع وتختلف بعض الشيء، وقد يؤدي هذا إلى اختلاف وجهات النظر حول نفس الرسائل أو إلى تأويل متعارض لدلالاتها مما قد يكون تعارضا في الأفكار والمعتقدات ونظرة هؤلاء الناس إلى الحياة أصلا حتى ولو أنهم ينتمون إلى نفس المجتمع ونفس البيئة الاجتماعية.

الأساليب النفسية التربوية والخطاب الديني:

تدل كلمة الأسلوب على الطريقة أو المنهجية التي يستخدمها الفرد في إنجاز مهمة معينة مشتملا على الخطوات والراحل التي يمر بها فعل الإنجاز، وهو أقل من الطريقة لأن هذه الأخيرة وليدة نظرية أو اتجاه فلسفي معين، بينما الأسلوب يتعلق أكثر بالخبرة الشخصية للفرد متأثرا بكل شخصيته من جهة ومعارفه المكتسبة من جهة أخرى، وهذا يجعله يكون استراتيجية شخصية في التعامل مع الميراث الخارجي وفي معالجته للمعارف والمعلومات التي يستقبلها ومن ثمة يكتسبها فيما بعد.

وكما رأينا في المقدمة فتتنوع الناس في الأساليب التي يستعملونها في استقبال ومعالجة المعارف التي يتلقونها وليدة عدة عوامل ذكرت أعلاه في المقدمة. ونود أن نلفت انتباه القارئ المحترم أن العلم بين بأنه إلى يومنا هذا لم يوجد هناك شخصان متشابهان تمام التشابه في الجوانب التكنولوجية البيولوجية والجسمية، فماذا يقال عن الجوانب النفسية والاجتماعية؟



يوجد عدة أنواع من الأساليب النفسية التربوية ولكن نذكر أربعة منها هنا وهي:

1. الأسلوب الموسوعي.

2. الأسلوب التحليلي.

3. الأسلوب التركيبي.

4. أسلوب المشكلات.

1- **الأسلوب الموسوعي:** ينتسب هذا الأسلوب إلى ما سمي به وهو الموسوعة - ولا يعني ذلك غزارة المعرفة واتساعها وإنما يقصد به بصفة خاصة ذلك الأسلوب الذي يكون صاحبه متميزا بالخصائص التالية:

- عاما في أطروحاته.

- سطوحيا في أفكاره.

- غامضا - بعض الشيء - في ترتيب الأفكار.

- يصعب على المستمع متابعة حديثه.

- يصعب عليه التحكم في التسلسل المنطقي لمضمون كلامه.

- يصعب عليه مراجعة أفكاره.

- الأجوبة التي يقدمها للأسئلة التي تطرح عليه فضفاضة وغامضة.

- يؤكد على وضوح ما يقدمه من معارف وأفكار رغم عدم استطاعته على ذلك.

يمكن للشخص صاحب هذا الأسلوب أن يكون مرسلا للخطاب الذي يتضمن المعارف والمعلومات أو متلقيا لها، فإذا كان مرسلا للخطاب فإن خصائص مضمونة سوف تكون حسب المواصفات المذكورة أعلاه، وإن هذا المضمون سيصل إلى من لهم



نفس الأسلوب في التفكير وفي معالجة المعلومات أكثر من غيرهم. فإذا كانت نسبتهم قليلة في جمهور المتلقين فإن تلك الأغلبية ستجحف نسبيا من مضمون الخطاب المراد إيصاله لهم بسبب عدم توافق الأساليب، ومن هنا يصبح الهدف من الخطاب غير محقق بالشكل المرغوب فيه.

أما إذا كان الشخص متلقيا فإنه يتشبث بالأفكار العامة والسطحية التي يتمكن من تذكرها بينما تنسل منه كل المعارف والمعلومات التي ترمز إلى الدقة مثل الرموز والأرقام والأشكال، كما يجد صعوبة في مجال ترتيب هذه المعارف والمعلومات، فهو لا يهتم بالترتيب بقدر ما يهتم بالموضوع في حد ذاته.

2. الأسلوب التحليلي: ويتناسب هذا الأسلوب إلى ما سمي به أيضا وهو التحليل، حيث يغلب على صاحبه التعلق بالأجزاء لكي يتمكن من فهم الموضوع بشموليته، و يتمكن من فهم ذلك إلا إذا تلقى مكوناته الجزئية بكاملها. ومن خصائص صاحب هذا الأسلوب:

- الدقة في الانتباه والملاحظة في إدراك الأجزاء.

- القدرة على تتبع تسلسل الأجزاء المعروضة عليه في حينها.

- المهارة البارعة في إدراك أبعاد الأجزاء.

- القدرة على تخزين الأجزاء المعروضة في وقت قصير.

- القدرة على تكوين مجموعة الأجزاء لإعطاء الدلالة لما يعرض عليه في هذه



قد يصعب عليه الوصول إلى تجميع الأجزاء ومجموعاتها من أجل تركيب موضوع عام من خلال الإستنتاج العام وإدراك البعد والمغزى من الموضوع المتلقى.

يمكن لصاحب هذا الأسلوب أن يكون مرسلاً أو متلقياً للخطاب. فإذا كان مرسلاً فإن مضمون خطابه يستوعب من المتلقين المشاهدين لهذا الأسلوب ومن أولئك الذين لهم الأسلوب التركيبي بينما يتلقى الآخرون هذا المضمون بنسب متفاوتة. ولعل الفرق بين هذا الأسلوب والأسلوب الموسوعي يتمثل في أن التحليلي يكون دقيقاً وواضحاً ومرتباً ومنهجياً في ما يرسله للمتلقين.

أما إذا كان الشخص متلقياً فإن الأمر يكون أكثر صعوبة، لأنه يقوم بتلقي أجزاء الرسالة ويحلل كل واحد منها لفظياً ودالياً لكي يستوعب مضمونه ويخزن فكرته، ثم ينتقل إلى الجزء الموالي - علماً بأن المرسل لا يتوقف عن الإرسال - وإلى الثالث وهكذا... وهنا نجد نسبة معتبرة ممن يتصف بهذا الأسلوب لا يستطيعون مسايرة المتلقي في رسالته - خاصة إذا كان سريعاً في إرساله - ومن هنا يكون المضمون الذي يتلقاه متصفاً بعدد من الفجوات من حيث المعنى والمبنى وبالتالي يصعب عليه التحكم في الموضوع لكونه ناقصاً، لهذا ينبغي على المرسل أن ينتبه إلى هذه الأنواع من المتلقين لكي يتمكن من التكيف حسبها وإلا لن يبلغ هدفه من الإرسال الذي يقدمه للمتلقين.



3. الأسلوب التركيبي: يعتبر صاحب هذا الإرسال عكس الأول، إذ يعتمد في معالجته الذهنية للمعارف والمعلومات المتلقاة على تركيب الأجزاء في كل موحد متكامل وهو أيضا قد يكون مرسلا أو مستقبلا. ومن خصائص هذا الشخص ما يلي :

- الدقة في الإلتباه والملاحظة في الإدراك للنتائج.

- القدرة على تتبع تسلسل الأجزاء المعروضة عليه في حينها.

- القدرة على الإستنتاج السريع واكتشاف أبعاد الموضوع.

- القدرة على إدراك الترابطات بين العناصر المكونة للموضوع.

- القدرة على التفكير التحريدي السريع مع المهارة في اكتشاف التشابهات

والمتناقضات.

إذا كان صاحب هذا الأسلوب مرسلا فإننا نجد أنه يقدم أجزاء مضمون رسالته في عمالة لكي يصل إلى تركيب فكرة عامة ومتكاملة من خلال هذه الأجزاء، إذ يهتم هذه الكليات والأفكار المركبة أكثر من الأجزاء التي تكونها، لذلك نجد أنه يركز ويكرر هذه المركبات، بينما يمر على الأجزاء مرورا سريعا.

وأما إذا كان الشخص متلقيا فإن الأمر يكون أسهل من صاحب الأسلوب التحليلي، إذ أنه يقوم بعمليات جمع الأجزاء في الذاكرة قصيرة المدى لكي يلخصها في فكرة أو معلومة، ثم ينتقل إلى مجموعة الأجزاء الأخرى ليفعل نفس الشيء إلى أن تتكون لديه فكرة شاملة رقم 1 من مجموعة المستخلصات الجزئية، ورقم 2 و 3 ... وهكذا، ومن



مجموع الأفكار الشاملة الجزئية يكون الفكرة الكلية العامة التي يستخلصها من الرسالة كلها، فهذا الشخص لا يحتفظ بالأجزاء في ذاكرته ولا يهتم بها ولكن يقوم بتركيبات منها بحيث يرمز لكل تركيب برمز معين، وبعدها يبني الموضوع من ذلك، ولذلك ينبغي للمرسل أن يأخذ بعين الاعتبار هذا النوع من المتلقين وأن لا يركز كثيرا على الجزئيات في رسالته.

4- أسلوب حل المشكلات: يتطلب أسلوب حل المشكلات من الفرد أن يقوم بالمعالجة والتعديل وتحويل المعلومات وإعادة صياغتها وتكوين بنية توصله بشكل أو بآخر إلى الحل. وأسلوب حل المشكلة يتطلب أيضا اكتشاف المعرفة المرسله واسترجاع المعرفة الواقعية المكتسبة، سواء كانت نظرية أو إجرائية والتي ينبغي أن تسترجع من الذاكرة.

يتصف صاحب أسلوب حل المشكلات بأنه شخص حاد الإنتباه والإدراك والتمييز مع القدرة على تنظيم المعلومات في بنيات متكاملة ومترابطة قصد التعميم، وهو يعتبر كل المعلومات التي يكتسبها هي أدوات لحل المشكلات، لذلك فهو يحاول أن يتصور مشكلة لكل معلومة يحصل عليها أو يسند هذه المعلومة إلى مشكلة صادفته سابقا. لهذا نجد يفضل طرح المشكلات في المواقف التعليمية والتكوينية وحيثما تقدم المعارف والمعلومات للمتلقين، أي تطرح المشكلات ثم تقدم لها الحلول من خلال هذه المعارف المقدمة، وهكذا يكون التعلم مباشرا إن أمكن.

ويمر النشاط العقلي للفرد في حل المشكلة بالمراحل التالية :

أ- مرحلة الإعداد: وتحتوي على الخطوات التالية :

- تحديد معيار الحل.



- تحديد أبعاد المشكلة من خلال المعطيات الحالية والمتلقاة.
- مقارنة المشكلة بما هو مختزن في الذاكرة من خلال المعارف السابقة مع إبعاد العناصر غير الضرورية.
- تحديد استراتيجيات الحل.
- تكوين تصورات الحل بعد تقسيم المشكلة إلى أجزائها البسيطة.
- ب- مرحلة توليد الحلول الممكنة: وفيها الخطوات التالية:
 - تذكر المعارف والإستراتيجيات من الذاكرة.
 - فحص وتمحيص المعلومات المتلقاة من الرسالة والمكتسبة سابقا والمتاحة من محيط المشكلة.
 - إنتاج الحل المحتمل.
- ج. مرحلة الحكم: وتتضمن ما يلي:
 - مقارنة الحل المستحدث بمعايير الحل.
 - اتخاذ القرار الذي يلائم الحل للمشكلة.
 - اكتساب الحل وخزنه في الذاكرة كمعرفة جديدة.



هذه بعض المعطيات الخاصة بموضوع الأساليب النفسية التربوية في الخطاب، والتي نرى أنه من الضروري معرفتها من قبل كل من يساهم في كل نوع من أنواع الخطاب الذي يوجهه إلى الناس المتلقين سواء بشكل مباشر أو غير مباشر أي من خلال الراديو أو التلفزة أو أية وسيلة أخرى.

بعض التوجيهات:

1- أوضحت بحوث الإتصال المتعلقة بالمحاضرات التي تهدف إلى الإقناع تبني اتجاهات جديدة، أو القيام بالسلوك الذي تحبذه عملية الإتصال الإقناعي.. أن تكون مضمون الرسالة الإتصالية الإقناعية، سيكون في الغالب عاملا مساعدا على إحداث سلوكيات جديدة أو تغيير سلوكيات قديمة، إلا أن التكرار ينبغي أن لا يكون مملا.

إن بحوث الإتصال تقترح على القائم بالرسالة الإقناعية أن يعتمد في كل مرة يكرر فيها رسالته للمتلقي بأن ينوع في هذه الرسالة، ويغير قليلا في أشكال تقديمها، وحتى في القليل من محتواها، فالداعية الذي يحاول إقناع أفراد حقل دعوته بالمواظبة على الصلاة في المسجد يستخدم - كرسالة إقناعية - الأدلة الشرعية على وجوب الصلاة بالمسجد، وفي مرة أخرى الأحاديث الشريفة التي تبين فضل صلاة الجماعة، وفي مرة ثالثة يشير إلى أن الأطفال سيكونون أكثر سعادة وهم يصحبون آباءهم إلى المسجد، وسيكون هذا مشجعا لهم على الصلاة بانتظام في المستقبل، واحترام آباءهم وطاعتهم.

وفيما يتعلق بتكرار الرسالة الإقناعية في عملية الإتصال فإن بحوث الإتصال أوضحت أن عرض أكثر من مبرر أو نتيجة لإتباع السلوك الذي تقترحه الرسالة الإقناعية،



أساليب النفسية التربوية للخطاب الديني

وتوزيع هذه المبررات والتائج ضمن رسائل إقناعية واتصالية متكررة، فإن كل ذلك سيزيد فاعلية الإتصال الإقناعي.

2- على الخطيب أن يكون ملماً بأساليب التفكير المختلفة وكيفية تلقي الرسائل حتى يتمكن من تكيف رسالته حسب هذه الأساليب، وليعلم المرسل أن الجمهور متنوع البيئات والمسؤوليات التعليمية لذلك كان لزاماً عليه أن يأخذ بعين الاعتبار هذه العوامل كلها عند تحضير مضمون رسالته.

3- يعتبر ترتيب عرض المعلومات من الوسائل الهامة في تلقي وتخزين المعارف لذلك فمن المهم للمرسل أن يخطط ويرتب المعلومات التي يعرضها وذلك حسب الأهمية. ويعتبر المضمون الذي يقع في وسط الموضوع صعب التلقي والإستيعاب بسبب موقعه لكون الإنتباه يبدأ في الإنخفاض من جهة وأن المضمون الذي يليه وهو في الأخير يستوعب نظراً للقرب من الإنتهاء من الرسالة. ومن جهة أخرى إنه من المفيد معرفة الخلفية الثقافية والتعليمية للمتلقين حتى يمكن توجيه الموضوع حسب هذه الخلفيات وإعطاء أمثلة تنبثق منها.

الهوامش

- 1- فتحي مصطفى الزيات : الأسس المعرفية للتكوين العقلي وتجهيز المعلومات، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، 1995.
- 2- جابر عبد الحميد جابر : التدريس والتعليم، الأسس النظرية، الإستراتيجيات والفاعلية، دار الفكر العربي، 1998.
- 3- سولسو روبرت : علم النفس المعرفي، ترجمة محمد نجيب الصبورة وآخرون، شركة دار الفكر الكويت، 1996.
- 4- Barais.A.W.L'homme cognitif, PUE; 1993, France